الصدق و الكذب

الصدق و الكذب -١

عن أبى هريرة رضى الله عنه – قال : وكلّنى رسول اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- بحفظ زكاة رمضان ، وأتانى آت ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، و قلت :

واللّه لأرفعنّك إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و سلم- ، قال إننى محتاج ، و علّى عيال ولى حاجة شديدة .

قال : فخلّيت عنه ، فأصبحت ، فقال النبى - صلى اللّه عليه و سلم -:

" **يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟**".

قال: قلت يارسول اللّه، شكا حاجة شديدة، و عيالاً، فرحمته، فخليت سبيله.

قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم :" **أما إنه قد كذبك، و سيعود!!**".

فعرفت أنه سيعود لقول رسول اللّه- صلى اللّه عليه و سلم- إنه سيعود ، فرصدته ... **(حديث صحيح أخرجه البخارى و غيره)** .

*** *** *** ***

هذه القصة لها دلالة رمزية وواقعية ، فهى تشير إلى طبيعة الإيمان فى مواجهة الحياة اليومية و السلوكية مع الآخرين ، و فى الوقت ذاته ترمز إلى استمرار الصراع بين الخير و الشر و الإيمان و الكفر، و الصدق و الكذب ، و الأمانة و الخيانة ، و الحصافة و المكر..

و بطل هذه القصة ، هو الصحابى الجليل أبو هريرة – رضى اللّه عنه – أما الشخصية الأخرى المجهولة فسوف تتكشف عندما نمضى قدماً فى قراءتها ، و تتبع أحداثها ، بيد أن الرسول – صلى اللّه عليه و سلم – هو محور أحداثها وموجهها حتى تصل إلى غايتها ومعرفة الهدف منها.

و أبو هريرة ، رضى اللّه عنه ، من أقرب الصحابة لرسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – و أكثرهم ملازمة له ، و تتبعاً لأقواله و أفعاله ، و حفظاً لها فى ذاكرته و صيانتها ورعايتها، و هى مكانة جليلة، أهلته ليكون أميناً على حفظ زكاة رمضان،

ووكيلاً عن النبى-صلى الله عليه و سلم-وفي القيام عليها، و توزيعها و فقاً للتوجيهات النبوية الكريمة .

وزكاة رمضان فى التشريع الإسلامى ، سنة واجبة يخرجها رب الأسرة عمن يعولهم فى أواخر شهر رمضان ، أو على امتداده وفقاً لرؤية بعض الفقهاء ، وهي طهرة للصائمين،و تزكية لنفوسهم،تضامناً مع أشقائهم المسلمين الفقراء والمحتاجين والمساكين ، و مساعدة لهم على تحمل متاعب الحياة ومطالبها المادية ، و قبل ذلك ، فإخراج زكاة الفطر امتثال للتشريع الإلهى و طاعة للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم.

ومن سياق القصة النبوية ، نفهم أن هذه الزكاة يمكن جمعها و تخزينها ، ثم توزيعها مثلها في ذلك ، مثل زكاة المال و الزروع و الماشية و غيرها .

و كما يكون هنالك "**عامل**" يجمع الزكاة المفروضة أو ركن الإسلام ، فهناك وكيل يحفظ زكاة الفطر المسنونة ، و يقوم على شأنها .. و فى النوعين زكاة الفرض وزكاة الفطر ، فيمكن للمسلم أوالمسلمة ، أو من يخرج الزكاة منهما أن يقوم بالأمر بنفسه ، و يوزع حق الله بمعرفته لمن يستحقها من الفقراء و المساكين و غيرهم .

و أبو هريرة فى هذه القصة يفاجأ بمن لا يعرفه ، أو بشخص غريب بالنسبة إليه ، يأخذ من الطعام الذي هو حق للفقراء ، و يغترف منه ..ولكن أبا هريرة ، يعترضه،و يستردّ منه ما أخذه،ويهددّه بأن يشكوه إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم.

و لكن هذا المجهول الذى يأخذ من الزكاة ، و يعترضه أبو هريرة مهدّداً له بالشكوى فيتوسّل إليه ، و يسعى إلى كسب تعاطفه ، ووقوفه إلى صفّة ، حيث يقول لأبى هريرة " :

" **إنىّ محتاج ، وعلى عيال ، ولى حاجة شديدة!**"

كما نرى ، فحجة هذا المجهول تبدو مقنعة و مؤثرة ، فالحاجة و نفقة الأولاد أو العيال ، و الضرورة القاهرة التى تجعله يمدّ يده ، وكلها أمور تجعل أبا هريرة "**رضى**

الله عنه"- يتراجع عن تهديده بالقول " " **لأ رفعنك**" ، أى لأذهبن بك و بما أخذت و أشكوك إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم ! فما فعله هذا الشخص المجهول ، يدخل فى عداد السّرقة التى توجب الحدّ ، ولو أن الرسول – صلى الله عليه و سلم – أذن لهذا الشخص بالأخذ لما كان هناك مشكل ، ولكنه توجه من تلقاء نفسه ، وأخذ دون إذن ، و كان على أبى هريرة الوكيل أو الأمين على زكاة رمضان ، أن يقوم بواجبه ، و هو إخبار الرسول – صلى الله عليه و سلم –و تقديم المذنب إليه .

بيد أن أبا هريرة – رضى الله عنه- حين سمع حجة هذا الشخص المجهول ؛ ورقّ له قلبه ، و تعاطف معه ، وخلىّ سبيله ، أى تركه يمضى ، دون أن يقدمه " متلبّسا" – كما يُقال فى لغة القانون – إلى النبى الكريم – صلى الله عليه و سلم – ليعاقبه ؛ ولكن أبا هريرة يفاجأ بأن الرسول – صلى الله عليه و سلم – أخبره فى اليوم التالى صباحاً ، بما حدث بالأمس على هيئة سؤال :" يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟"

و كان السؤال مباغتا و مفاجئاً ، ولكنه يكشف عن صدق النبوّة ، و علم الله الذى لا يتخلف بإخبار نبيّه – صلى الله عليه و سلم – عن كل ما يجرى ، بهدف التشريع أو لغاية أخرى. و يقول أبو هريرة:يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالاً، فرحمته ، فخليت سبيله"، أى إن ما قام به أبو هريرة ، عمل إسلامى رئيسى ، و هو الرحمة لكل ضعيف و محتاج وفقير، وقد عمل بهذا المبدأ، و تغاضى عن سلوك الشخص المجهول – و لكن الرسول – صلى الله عليه و سلم – يقول لأبى هريرة :" أما إنه قد كذبك ، و سيعود !!"

الصدق و الكذب -٢

رصد أبو هريرة – رضى الله عنه – عودة الشخص المجهول ، الذى قال عنه رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إنه كذب عليه و سيعود مرة أخرى ، و بالفعل جاء المجهول وأخذ من الطعام الخاص بزكاة رمضان ، و هدّده أبو هريرة ثانية بتقديمه للمحاسبة ، و لكنه كرر حجته السابقة بشدة الحاجة و نفقة العيال، و قال: أعنّى فإنى محتاج ، و علىّ عيال، لا أعود " قال أبو هريرة ، فرحمته ، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لى رسول الله-صلى الله عليه و سلم "**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟**" .

قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، و عيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: " **أما إنه قد كذبك ، و سيعود**" .

فرصدته الثالثة ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته؛ فقلت:لأرفعنك إلى رسول الله-صلى الله عليه و سلم، و هذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم لا تعود، ثم تعود!!

قال : دعنى أكلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت: ماهن؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسى :-

"ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ"

حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح ..فخليت سبيله .."

....

نلاحظ فى هذه القصة النبوية ، أن الرسول – صلى الله عليه و سلم – بعد علمه بما جرى من المجهول و أخذه من زكاة رمضان دون استئذان ، أو حتى تعريف

بنفسه . يخبرنا – صلى الله عليه و سلم – بأمرين ؛ الأول هو أن هذا المجهول كاذب ، و الآخر أنه سيعاود فعلته مرة ثانية .. و قد تحقق صدق ما قال الرسول ، عليه الصلاة و السلام ، فقد جاء الشخص المجهول ، و اغترف من طعام زكاة رمضان ، وكان له أبو هريرة – رضى الله عنه – بالمرصاد ، وقال له : لأرفعنك ، أى سأقدّمك إلى الرسول–صلى الله عليه و سلم–بتهمة السرقة كى يحاسبك على ما فعلت..و لكن المجهول يكرر ما قاله في المرة السابقة من شدة حاجته و نفقة عياله ..فيرقّ قلب أبى هريرة ، ويطلق سراحه ، و فى اليوم التالى يفاجأ أبو هريرة – رضى الله عنه – بأن الرسول – صلى الله عليه و سلم – يسأله :

"**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟**" .

تأمل قوله (صلى الله عليه و سلم) " **أسيرك**" ..أى الشخص الذى تم أسره و لا يجوز الإفراج عنه إلا بشروط ! و هو ما يعطى دلالة خاصة لما فعله أبو هريرة، و يحمله مسئولية كبيرة ، لأنه أطلق سراحه دون إذن أو مشورة ، ثم إنه عرف قبل ذلك من رسول الله –صلى الله عليه و سلم– أن هذا الأسير كاذب ، و لكن حيلته انطلت عليه هذه المرة أيضا.

بيد أن أبا هريرة – رضى الله عنه – و قد عرف للمرة الثانية أن هذا الأسير كاذب ، وأنه سيعود ، رصده فى الثالثة ، ورآه يغترف الطعام من زكاة الفطر دون حق أو إذن ممن وكلّه الرسول – صلى الله عليه و سلم – حافظاً و أميناً . و هنا يهدّده أبو هريرة، برفع أمره أو تقديمه إلى النبى الكريم عليه الصلاة و السلام ، لمحاسبته والقصاص منه ، و يذكره بأنه كذب فى المرات الثلاث ، وادّعى فى كل مرة أنه لن يعود ثم يعود!!

بيد أن المجهول يلجأ إلى حيلة جديدة، يخدع بها أبا هريرة كى يطلق سراحه، ولا يقدمه إلى الرسول الكريم – صلى الله عليه و سلم – و هى حيلة تستولى على لبّ

أبى هريرة ، و تخاطب فيه وتراً حساساً ، هو وتر الإيمان و العقيدة، و الارتباط بالله جل و علا. فيقول له: دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، والنفس البشرية تتوق دائما إلى سماع ما يفيد و ما ينفع ، خاصة فى مجال الإيمان و العلاقة مع الله سبحانة ، و هنا نجد أبا هريرة يسارع إلى إجابته قائلاً : ماهن ؟ أى ما هى هذه الكلمات التى ينفع الله بها ؟

و هنا يقول له المجهول : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى:-

"ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ"

فإنك لن يزال عليك من الله حافظ،و لا يقربنك شيطان حتى تصبح.ونصيحة هذا المجهول ، نصيحة ثمينة بحق ، و لها قيمة كبيرة بكل تأكيد ، فهو ينصح أبا هريرة بقراءة آية الكرسى ، و هى آية مهّمة ، و تحمل مضمونا يتحدث عن طلاقة القدرة الإلهيّة فى الهيمنة على الكون ، للحفاظ على الخلق ، فهى تصف الحق سبحانه بأنه هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، و هو الذى يملك مافى السموات و الأرض ، ولا يصعب عليه حفظهما ، و لا أحد يستطيع أن يشفع لديه إلا بإذنه، و يعلم كل شىء عن خلقه وما يفعلونه سراً و جهراً، و هم-فى الوقت نفسه- لا يحيطون بعلمه ، و لا يدركون إلا بما يسمح و يشاؤه سبحانه و تعالى . لقد وسعت

قدرته السموات والأرض وما بينهما وهو البداية والنهاية العلّى فوق كل شيء، والعظيم الذى لا يداينه شيء.

و تلاوة هذه الآية الكريمة أمر مرغوب ومحبوب، وهناك إشارات كثيرة تتحدث عن تلاوتها، وفضل هذه التلاوة، عند النوم، أو فى مناسبات أخرى.. ولعل هذا كان من وراء الاهتمام بهذه الآية فيما بعد حفظا وتفسيراً، وكتابة على اللوحات التى تعلق على الحوائط فى البيوت، وفى المكاتب والسيارات وغيرها، حتى تبقى نصاً ورسماً أمام المسلم فى حياته اليومية.

والمجهول الذى نصح أبا هريرة بأنه إذا آوى فراشه فعليه بقراءة آية الكرسى، حتى يكون عليه من الله حافظ، جعل أبا هريرة، يخلّى سبيله، لأنه قدم له نصيحة ثمينة، تجعله فى معية الله كى يحفظه من كل سوء، ويبعد عنه الشيطان رمز الشرّ والسوء والأذى.

وهذه النصيحة، كانت البديل ولإظهار احتياج المجهول، وقسوة الحياة عليه وخاصة تحمله نفقة العيال التى اضطرته إلى السرقة وأخذ طعام زكاة رمضان، وهو ما دفع أبا هريرة إلى التعاطف معه، وإطلاق سراحه للمرة الثالثة.. ولكن ماذا كان موقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم ؟

الصدق و الكذب -٣

بعد أن رصد أبو هريرة – رضى الله عنه – ما فعله الشخص المجهول الذى سرق من زكاة رمضان ، ثلاث مرات ، و فى المرة الثالثة نصحه بقراءة آية الكرسى ليكون الله حافظاً له و لا يقربنه شيطان فأطلق أبو هريرة سراحه؛ وفى اليوم التالى، سأله الرسول – صلى الله عليه و سلم :

" ما فعل أسيرك البارحة ؟ "

يقول أبو هريرة ؛ قلت يارسول الله ، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله .

قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم : " ما هى ؟" .

قلت: قال لى إذا آويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية:

" ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ"

وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ، و لا يقربنك شيطان حتى تصبح ، و كان أحرص شىء على الخير، فقال النبى – صلى الله عليه و سلم :

" أما إنه قد صدقك و هو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟"

قلت : لا .

قال : " ذاك الشيطان " !

....

رأينا فى المرات الثلاث السابقة أن الشخص المجهول ، يقوم فى كل مرة يرصده فيها أبو هريرة رضى الله عنه – و يهّم بتقديمه إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – ليحاسبه على ما سرقه من طعام زكاة الفطر، يقوم هذا الشخص

بالتحايل عليه بطريقة مؤثرة، حتى يرقّ قلبُ أبى هريرة ، و يطلق سراحه أو يخلّيه.. و كان الرسول – صلى اللّه عليه و سلم – يقول لأبى هريرة بعد أن يطلق سراح الشخص المجهول إنه كاذب و إنه سيعود مرة أخرى ، أو كما قال :"**أما إنه قد كذبك ، وسيعود !**" .

و نلاحظ أن تكرار الفعل من الشخص المجهول ، وردّ الفعل من أبى هريرة ، يصّاعد بالموقف القصصى فى القصة النبوّية إلى الذروة التى تحقّق الحبكة القصصية ، و يتشوق القارىء إلى معرفة النهاية و الغاية من القصة ..

لقد احتال المجهول فى المرّة الثالثة على أبى هريرة ، بحيلة رأى فيها أبو هريرة شيئاً نافعاً و مفيداً هو قراءة الآية الكريمة فى سورة البقرة " اللّه لا إله إلا هو الحى القيوم .." التى تسمى آية الكرسى ، حيث تحفظ من الشيطان ، و تقى من شروره ، و هو ما دفعه لإطلاق سراحه ..فأبو هريرة و الصحابة كانوا أحرص الناس على الخير، و الاستفادة بما ينفع فى الدين و الدنيا، وفقا لمنهج الدين الحنيف، خاصة إذا ارتبط الأمر أو النصح بالقرآن الكريم .

و هنا يكشف الرسول – صلى اللّه عليه و سلم – سّر هذا الشخص المجهول ، الذى يسرق زكاة الفطر، فى الوقت نفسه يقدم النصيحة لأبى هريرة . فيقول النبى الكريم – صلى اللّه عليه و سلم : " أما إنه قد صدقك و هو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟"

فيقول أبو هريرة : لا !

فيقول الرسول – صلى اللّه عليه و سلم :" **ذاك شيطان** "!

إذاً هذا الذى يسرق و ينصح هو الشيطان ، أو شيطان من الشياطين . و السؤال هو : لماذا فعل الشيطان ذلك ؟

و الإجابة يتضمنها قول الرسول- صلى اللّه عليه و سلم :"**صدقك و هو كذوب**" ، فالصدق هنا مرتبط بالنصيحة التى تؤكد على ؟أهمية آية الكرسى و قيمتها بالنسبة للمسلم فى سلوكه اليومى و الحياتى ، و خاصة عند منامه ..و قد يتصور البعض أن هذا مدح للشيطان ، و لكن الأمر ليس كذلك ، فهو تقرير حقيقة . النصيحة صادقة و حقيقية ولكن الرسول – صلى اللّه عليه و سلم – يردفها ببقية

الوصف الصحيح للشيطان فى قوله: "**وهو كذوب**" ، أى إنه معتاد على الكذب ، و هى صفة مبالغة ، تعنى أنه يكذب كثيراً و يستمّر فى الكذب ، و لا يمنعه ذلك من قول الصدق أحياناً .

ثم تأتى المفاجأة الكبرى التى تحّل لغز القصة عندما ينبئ الرسول – صلى الله عليه و سلم – أبا هريرة الذى كان يخاطبه منذ ثلاث ليال هو الشيطان ، أو شيطان من الشياطين ..و كأن القصة التى بين أبى هريرة و الشيطان ، قد جاءت لتعطينا نحن المسلمين درساً فى كيفية اتقاء شّر الشيطان ، و الذى سبق أن نزل فيه قوله تعالى تعليما لرسوله صلى الله عليه و سلم :

" وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ"

(سورة المؤمنون الآيات من ٩٧-٩٨)

ثم إن هذه القصة تقدم لنا فضل آية كريمة فى القرآن الكريم هى "**آية الكرسى**"، و هناك آيات أخرى لها فضل عميم جاءت الأحاديث النبوية الشريفة . فهناك سورة الفاتحة التى عدها الرسول – صلى الله عليه و سلم – أعظم سورة فى القرآن و هى السبع المثانى و القرآن العظيم ، و سورة الإخلاص التى تعدل ثلث القرآن ، أى من قرأها كأنه قرأ ثلث القرآن . و حبُّ هذه السورة أدخل رجلاً الجنة فى حديث لأنس رضى الله عنه . ثم إن المعوذتين **(قل أعوذ برب الفلق، و قل أعوذ برب الناس)** من السور الآيات التى لم يُر مثلهن قط ، كما ورد فى حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه ، و فى حديث أبى سعيد الخدرى فى الله عنه أن الرسول – صلى الله عليه و سلم – كان يتعوذ بهما من الجان و عين الإنسان ، أى الحسد . وهناك من السور التى تشفع لمن قرأها مثل " تبارك الذى بيده الملك " ، ثم إن الشيطان ينفر و يهرب من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ..و هكذا نجد للقرآن الكريم فى عمومه فضلاً كبيراً ، و فى بعض آياته و سورة خصوصاً فضلاً أكبر ، و نسأل الله من فضله و خيره ببركة القرآن الكريم .